

تفسير البحر المحيط

@ 342 @ .

قال معناه : ما لم يغش محرماً ، والمعنى : زادت الإنس الجن مأثماً لأنهم عظموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى . وقال قتادة وأبو العالية والربيع وابن زيد : { فَزَادُوهُمْ } ، أي الجن زادت الإنس مخافة يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويغوونهم لما رأوا من خفة أحلامهم ، فزادوهم واحتقروهم . وقال ابن جبير : { رَهَقًا } : كفراً . وقيل : لا يطلق لفظ الرجال على الجن ، فالمعنى : وإنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجن برجال من الإنس ، وكان الرجل يقول مثلاً : أعوذ بحذيفة بن اليمان من جن هذا الوادي ، وهذا قول غريب . { وَإِن نَّهْمُ } : أي كفار الإنس ، { طَانُوا } : كَمَا طَانْتُمْ } أيها الجن ، يخاطب به بعضهم بعضاً . وظنوا وطننتم ، كل منهما يطلب ، { أَن لَّسَّ يَدْعَثَ } ، فالمسألة من باب الإعمال ، وإن هي المخفة من الثقيلة . وقيل : الضمير في وأنهم يعود على الجن ، والخطاب في ظننتم لقريش ، وهذه والتي قبلها هما من الموحى به لا من كلام الجن : { أَن لَّسَّ يَدْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا } : الظاهر أنه بعثة الرسالة إلى الخلق ، وهو أنسب لما تقدم من الآي ولما تأخر . وقيل : بعث القيامة . { وَأَزَّزَّا لَمَسِّنَا } السَّمَاءَ : أصل اللمس المس ، ثم استعير للتطلب ، والمعنى : طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فوجدناها ملئت . الظاهر أن وجد هنا بمعنى صادف وأصاب وتعدت إلى واحد ، والجملة من { مَلَأَتْ } في موضع الحال ، وأجيز أن تكون تعدت إلى اثنين ، فملئت في موضع المفعول الثاني . وقرأ الأعرج : ملئت بالياء دون همز ، والجمهور : بالهمز ، وشديداً : صفة للحرس على اللفظ لأنه اسم جمع ، كما قال : .
أخشى رجلاً أو ركباً عادياً .
ولو لحظ المعنى لقال : شداداً بالجمع . والظاهر أن المراد بالحرس : الملائكة ، أي حافظين من أن تقربها الشياطين ، وشهباً جمع شهاب ، وهو ما يرحم به الشياطين إذا استمعوا . قيل : ويحتمل أن يكون الشهب هم الحرس ، وكرر المعنى لما اختلف اللفظ نحو : .
وهند أتى من دونها النأي والبعد .
وقوله : { فَوَجَدُوا نَاهَا مَلَأَتْ } يدل على أنها كانت قبل ذلك يترقون السماء ولا يجدونها قد ملئت . { مَقَاعِدَ } جمع مقعد ، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم (صورة قعود الجن أنهم كانوا واحداً فوق واحد ، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه ، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ، ثم يزيد الكهان الكلمة مائة كذبة .

{ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ } ، الآن ظرف زمان للحال ، ويستمع مستقبل ، فاتسع في الظرف
واستعمل للاستقبال ، كما قال : .
سأسى الآن إذ بلغت اناها .

فالمعنى : فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي ، { يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا }
: أي يرصده فيحرقه ، هذا لمن استمع . وأما السمع فقد انقطع ، كما قال تعالى :
إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ } ، والرجم كان في الجاهلية ، وذلك المذكور